أسلوبيةُ المفردة القرآنية
بين وحدة الصفة وتعدد الموصوف
صفتا (العظيم والكبير) أنموذجاً

The Stylistic of the Qur'anic Singularity Between the adjective unit and the prescribed pluralism
The Adjectives
(The great and the tremendous)
is a model Preparation

أ.م.د صباح عيدان حمود
كلية التربية – جامعة ميسان
Dr.Sabah Idan Hamoud
College of Education - University of Maysan

كلمات مفتاحية : الأسلوبية / القرآن الكريم / الوحدات اللغوية / التوصيف

ملخص البحث

استنتج هذا البحث عدة امور تخص أسلوبية المفردة في القرآن الكريم منها أن الأسلوبية كمنهج علمي تعد اليوم من أهم الوسائل التي تدرس النص القرآني لبيان دلالته التي أراد لها مبدعها أن تكون خالدة ومعجزة، وأن أسلوب القرآن دقيق في توظيف المفردات، ويسعى دائماً إلى توسيع المعنى في سياق الاستعمال؛ ليفرز دلالات غير متوقعة تكون مدعاة للتفكر والتدبر، وهو متفرّد بوصفه للحقيقة المطلقة الشاملة فوق المتغيرات الزمانية والمكانية، فيصف الأشياء وصفاً دقيقاً ليستوعبها العقل، ويشير الى أشياء قد يقف الإدراك أمامها ولا يتجاوز محاولة الإيمان بها كما هي، دون المساس بها وعلى الرغم من الترابط الدلالي بين صفتي العظيم والكبير ،تبين أن القرآن استعملهما في سياقاتهما الخاصة بكل واحدة منهما وبناء على ذلك لابد من أن تتضافر مع الصفتين محل البحث صفة العلو لتؤهلهما لوصف الباري عز وجل، وهذا يعزز حتمية الذكر المزدوج بينهما في التصديق لقراءة القرآن الكريم والله من وراء القصد .

Abstract

This research concluded several things concerning the stylistic singularity in the Holy Quran. Stylistic as a scientific method is today one of the most important means that study the Qur'anic text to show the significance that its creator wanted to be immortal and miraculous, and that the style of the Qur'an is accurate in the use of vocabulary. The context of use; to produce unanticipated signs of thought and thought, which is unique as the absolute truth over all temporal and spatial variables, describes things accurately and to be understood by the mind, and refers to things that may stand in front of them and does not exceed the attempt to believe it as it is, In spite of the semantic connection between the great and the tremendous adjectives, it was found that the Qur'an used them in their respective contexts. Therefore, it is necessary to combine with the two attributes in question to qualify them to describe the Almighty. And the God of the intent behind .

المقدمة

تُعدُّ الأسلوبية في الوقت الراهن عِلماً مهماً للكشف عن معالم التركيب، وبيان دور المفردة فيه؛ لأنها تعمل بطرائق علمية لتحليل الخطاب وانتاجه، فحملت على عاتقها بيان المعالم التأثيرية واللافتة في النص، بل بيان كيفية حصول ذلك التأثير، متجاوزة المعيارية والقواعد التي فرضتها علوم البلاغة القديمة في دراسة النصوص وتحليلها ، ومعتمدة على وصف معطيات الخطاب منظوراً له من حيثيات المبدع والمتلقي اضافة الى النص نفسه؛ لأن الأسلوبية اليوم ((تركّز على فهم النص من خلال لفتها لإدراك علاقاته الداخلية، وللكشف عن قيمة بنيته الفنية التي يتجلى فيها تحوّل الحقائق اللغوية الى قيم جمالية، وهي تنحو منحىً علمياً من حيث أن معطيات موضوعها تتجوهر حول مادة مجردة هي اللغة))[1] نعم. فالأسلوبية بهذا تكون علماً ومنهجاً لفهم النص بوساطة الكشف عن العلاقات الترابطية بين مفرداته داخل التركيب، أمّا القيم الجمالية فهي خاضعة لذوق النقاد ومستوياتهم المعرفية التي لا يشكّ أحدٌ باختلافها وتفاوتها على وفق اختلافهم في مستويات التلقي.

ومع إيماننا بأن النص القرآني معجزة ثابتة في بنية الألفاظ؛ لأن نصيته محفوظة: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩) ، وهو(قطعي الصدور)، أي أن مبدعه هو الله تعالى، ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الحاقة: ٤٣) ودلالته متحركة (ظنيّ الدلالة) ،أي أن دلالة مفرداته وتراكيبه تصلح لكلّ متلقٍّ في كلّ زمان ومكان، وتحمل دلالاتٍ واسعة في بنية عميقة يتجاوز بعضها طاقة العقل الإنساني واستيعابه؛ فاختص تأويله في الله تعالى والراسخين في العلم؛ لأنه ليس بشعر شاعر ولا بنثر كاهن، ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾(الحاقة:٤١ - ٤٢).

فنحن إذن بين يديّ((نصٍّ لا يُسمّى، أو لا تسمح معايير الأنواع الأدبية بتسميته. إنه نصٌّ لا يأخذ معياره من خارج، من قواعد ومبادئ محددة، وإنّما معياره داخليّ فيه... لا يُدرك معناه، ولا يبدأ ولا ينتهي... يتجلى في زمان ومكان، متحرك الدلالة، مفتوح بلا نهاية)) [2] .

فأسلوب القرآن متفرّد بوصفه للحقيقة المطلقة الشاملة فوق المتغيرات الزمانية والمكانية، وما يدركه العقل البشري وما لا يدركه، فيصف الأشياء وصفاً دقيقاً ليستوعبها العقل، ويشير إلى أشياء قد يقف الإدراك أمامها ولا يتجاوز محاولة الإيمان بها كما هي، دون المساس بها. فالنص القرآني يختلف عن النص البشري بكلّ أجناسه؛ لذا ينبغي لدارس هذا النص ملاحظة تلك الخصوصية ودراسته دراسة خاصة تختلف عن دراسته للنصوص الأخرى؛ لأن ديمومة الخطاب القرآني تقتضي مناسبته لكلّ العصور، وهذا يتضح من استشرافه لحالات المستقبل؛ فالبعد الاستشرافي فيه، هو الذي يمدُّه بصفة الديمومة تلك. وفي الخطاب القرآني بنى نصية كبرى، استحقت أن تحظى بدراسات مختلفة، نظراً للحضور الدلالي المكثف الكامن فيها، وهذه البنى تجدُ ملامحها الأسلوبية في مفرداتها التي شكّلت النسيج المتلاحم والمتوائم في البنية النصية القرآنية المعجزة.

فلا يمكن بحال ان ندرس النص القرآني على وفق آليات معرفة شخصية مبدعه لعكس انفعالاته وتأثره؛ لأن هذا لا يتناسب ومقام الربوبية، والألوهية

التي نؤمن بها ونعتقدها، وبذلك يتوجّه التركيز في دراستنا على وصف المبدع لنفسه ، والتأثير العاطفي والوجداني الذي يتركه الأسلوب في استعمال المفردة على شخصية المتلقي ، وما يحدثه من أثر تعليمي أو إمتاعي او تربوي فيه، و التوسع في بيان العلاقة بين الأسلوب والقارئ أو المتلقي. [٣] وسيكون ذلك على وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: وفيه نمهّد لما يأتي:

١- التوظيف الأسلوبي للمفردة القرآنية :

تطورت الدراسة الأسلوبية في مراحلها المختلفة إلى الخوض في المجالات التداولية التي تلحّ في استخراج السمات الأسلوبية المتمثلة من الوحدات اللغوية (المفردات) . فهناك من يتجه إلى التعمّق في النص ذاته لاستخراج الثيمات الانعكاسية فيه، التي تمثّل وقائع معرفية مختلفة, فالأسلوب في هذه الحالة يقوم على مبدأ التضمّن الذي يدلُّ على أن هناك وظيفة انعكاسية تحملها المفردة على وفق نسجها في التركيب الذي يفرضه السياق[٤] ، فالمفردة الواحدة تحمل معاني معجميّة خاصة بها، ووظيفة المعاجم كما هو معروف ((أن تنسب الى كلّ مفردة من هذه الكلمات أكثر من معنى ، وتظلّ معاني كلّ كلمة موضع احتمال حتى توضع في سياق نص تحدد لها واحداً من المعاني)) [٥] ، ممّا يعطيها من السعة الدلالية و القدرة على أن تعطي معانيَ جديدة على وفق انسجامها داخل النصوص المختلفة . فهي إذن ذات قدرات خاصة تتحلى بها قبل دخولها ساحة التركيب؛ فحينها تخرج المفردة عن صفاتها المعجمية إلى ثوبها الجديد في داخل التركيب، الذي يفرض عليها معنى سياقياً قد لا يبتعد كثيراً عن واحد من تلك المعاني المعجمية، ولكنه يصبح المعنى الملائم للسياق، فـ ((لا تتفاضل الكلمات من حيث هي ألفاظ مفردة، بل من حيث نسجها ودرجة التلاؤم بين معناها ومعنى اللفظة التي تسبقها والتي تليها)) [٦] . ويكون ذلك كلّه داخل النص، فإذا كان النص يهدف إلى بيان معنى معين، وغرض دلالي خاص؛ تفرض المفردة وجودها على بيان علاقة بينه وبين نصٍّ آخر، ربما يؤدي وظيفة سياقية أخرى .فيصير من المسلّم به أن المفردة داخل السياق كائن جديد متميز عن المفردة المعجمية ، فهي داخل النص ((تلبس لبوساً فريداً مع شحنة روحية ، ممّا يجعلها تتجاوز كونها أصوات مادةٍ معجمية)) [٧] .

والاهتمام في أسلوبية المفردة داخل النص القرآني وما تفعله هذه المفردة في إضفاء صفات وقيم دلالية جديدة للنص، وما تفرضه من علاقات داخلية في التراكيب المختلفة، أمرٌ في غاية الأهمية؛ لأن ((الكلمة في الفكر الأسلوبي التقليدي لا تعرف إلاّ ذاتها، أي سياقها هي، و موضوعها هي، وتعبيريّتها المباشرة ولغتها الواحدة الوحيدة)) [٨] ، فهي من آليات الفهم المتجدد التي يفرضها الأسلوب القرآني في اتجاه قراءات جديدة. وذلك من حيث علاقة النص بنفسه وحركته الداخلية بين مفرداته؛ فـ ((الأسلوب القرآني يتميّز بالتوظيف الدقيق المؤدي إلى السعة في المعنى بأوجز لفظٍ ، حتى أن المفردة لتكاد تنفجر مؤديةً أكثر من وظيفةٍ دلالية يستدعيها السياق، ومن هذا التوظيف الدقيق دقة الاستخدام للمفردة من خلال اختلافها مشتقة وجامدة)) [٩] . وهذا ما يلفت النظر في استعمال بعض الصفات في النص القرآني، من

جهة تعدد الموصوف واختلافه، وفي سياقات مختلفة وبيان دلالات غير متوقعة؛ لكن وجود صفة واحدة جامعة بين النصوص يجرُّ القارئ الى حتمية البحث عن وجود علاقات متبادلة بين هذه النصوص.

وسيكون هذا كلّه في إطار أحد مستويات المنهج الأسلوبي، وهو المستوى الدلالي الذي يمثّل الهدف الرئيس للدراسة. ومع إيماننا في تشعب مفصليات الدراسة الأسلوبية وتعدّدها بتعدّد مستويات النص اللغوي ،إلاّ إننا نرى أن الدراسة الأسلوبية إن أُريد لها ان تكون ناجحة؛ يفضّل ان تقتصر على دراسة مستوى واحد من مستويات النص ؛ لأن الخوض في مستويات عدّة ربما يفقد الدراسة تركيزها وجدواها ، ويكون للدارس الخيار في ملاحقة السمة الأسلوبية البارزة[١٠] . ومع هذا لا يمنع أن نعتمد المستويات الأخرى في البحث عن القيم الدلالية التي توحي بها بعض التراكيب في ضوء المستوى الصوتي مثلاً، او التركيبي، أو الإحصائي، أو النفسي ، أو غيرها من مستويات البحث الأسلوبي المعروفة.

لذا سيعتمد البحث على آلية الاستقراء والإحصاء لصفتي(العظيم والكبير) وموصوفاتهما، وبيان الاختلاف في نوعية الموصوف وتعدده ووحدة الصفة، أو بالعكس. وهذا ما يتّضح في هذا الاستعمال المشترك في بيان صفة المبدع نفسه مع موجودات أخرى توصف بهذه الصفة نفسها، ثم استنباط معالم التأثير في المتلقي وبيان كيفيته، ومن ثم الكشف عن القيم الجمالية- التي تنسجم مع الدلالة- التي أرادها مبدع النص أن تكون حاضرة لإكمال دائرة الإعجاز الذي تبناه والتزمه النصُّ القرآني ومبدعُه.

٢- الترابط الدلالي والأسلوبي بين الصفتين (العظيم والكبير)

لقد تبيّن من خلال استقراء الآيات القرآنية التي وجدت فيها هاتان الصفتان، أنهما أُستعملتا وصفاً لموصوفات متعددة ومختلفة ومتباينة. وقد يثير استعمالهما هذا نوعاً من التساؤلات عند المتلقي ، و محور هذه التساؤلات هو: كيف استطاعت هذه الصفة أو تلك أن تنسجم دلالياً مع هذه الموصوفات المختلفة والمتباعدة حتى من جهة وجودها؟ وهل أكملت دورها في التركيب ووفّت حقّ الدلالة المبتغاة داخل السياق التركيبي؟

والإجابة عن هذه التساؤلات تعتمد على الكشف عن المنبهات الأسلوبية التي أخرجت المفردة داخل التركيب عن مقتضى الظاهر من جهة استعمال اللفظ ، أو دلالة المصطلح عليها في الوضع. وهي خاصية أسلوبية من خواص النظم القرآني، لما فيها من دقة في البناء اللغوي وقصدية في الدلالة. وإليها يعود جانب من إعجازه الذي أراد له مبدعه أن يكون خالداً ومتجدداً. وطبيعة البحث اقتضت ان نتعرف على دلالة المفردتين والعلاقة بينهما ؛ ليتسنى لنا الولوج في دلالتهما داخل النسيج القرآني.

كثُر استعمال هاتين المفردتين في النص القرآني، ووُصفت بهما أشياء كثيرة ومتباينة، وجدولة هذا الاستعمال اضطرتنا إلى بحث إحصائي، كانت نتيجته إن صفة(العظيم) قد وَصَفت (واحداً وثلاثين) موصوفاً مختلفاً هي: (الذات المقدسة ، والعرش الإلهي، الرب، خُلُق النبي(ص)، القرآن والعذاب، والأجر، والفوز، والخزي، والكرب، الطود ،القول، البهتان، الميل، الإثم، المُلك، البلاء، الفضل، اليوم، الكيد،

زلزلة الساعة، مشهد القيامة، عرش بلقيس، الحظ، الحنث، الظلم، الذبح، النبأ، السحر، رجل، القَسَم).

وتقترب صفة الكبير دلالياً من صفة العظيم ؛ لذا نجد أنهما يشتركان في وصف بعض الأشياء كالمولى عز وجل والأجر و الفوز والفضل الإلهي، وهناك أمور وصفت بهذه الصفة(الكبير) لم توصف بصفة العظمة، وهذا أيضا ملمح أسلوبي لاستعمال المفردة يحتاج إلى تأمل في هذا التفريق الدلالي بين المفردتين. وهذا اللفت في التركيب يحتّم علينا أن نقف عند الدلالة المعجمية لهاتين الصفتين؛ ليتبين لنا مدى القدرة الدلالية التي تمتلكها كلُّ مفردة منهما لتنسجم مع صفات الأشياء ألتي وصفت بها.

فقد سجلت كتب المعجم دلالة(عظم) في أنها : أصل واحد صحيح يدلّ على كبر وقوّة . فالعُظْم : مصدر: الشيء العظيم . تقول عَظُم يعظُم عُظْماً . فإذا عظم في عينيك قلت أعظمته واستعظمته . وعظمة الذراع : مستغلظها ، ومن الباب العظم ، معروف، سمّى بذلك لقوّته وشدّته. [١١] وهو ما يثبت أن هذه الصفة صفة مشكّكة حسب التعريف المنطقي للتشكيك، أي أنها متفاوتة في القوة والضعف، والذي يبيّن هذا التفاوت هو طبيعة الموصوف وسياق الاستعمال. ومن هنا نجد أن تداخلاً بين الصفتين من جهة ذكر الكبر في معنى العظمة، وهو ما يوحي إلى قوة الترابط الدلالي بين المفردتين.

أمّا صفة الكبير فهي من الأسماء المتضايفة، أي: التي تُقاس عند اعتبار بعضها ببعض، فالشيء قد يكون صغيراً في جنب شيء، وكبيراً في جنب غيره، وأصل ذلك أن يُستعمل في الأعيان، أي في الأمور الخارجية، ثم استُعير للمعاني الذهنية، نحو قوله تعالى: ﴿ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً ولا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها ﴾(الكهف: ٤٩)، وقوله تعالى:﴿ ولا أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ ولا أَكْبَرَ ﴾(سبأ: ٣) [١٢].

فالكِبَر والصِغر أمران متقابلان ، فالكبير يمكن أن يكون صغيراً بالنسبة إلى ما هو أكبر منه. وأمّا العظيم فيقابله الحقير: فيلاحظان في أنفسهما ومن حيث هما، ولا يجتمعان في مورد واحد وإنّهما ضدّان ، وكلّ من الصغير والكبير قد يكون بلحاظ نفسه ومن حيث هو عظيم أو حقير. [١٣]

وكذا نجد أن بين الصفتين عموماً وخصوصاً من جهة الموصوف بهما، فقد يشتركان في وصف أمر واحد، وقد تستقلّ أحداهما عن الأخرى بوصف أشياء بعينها. ويمكن بيان هذه العلاقة في المبحثين اللاحقين.

المبحث الثاني: أسلوبية المفردة في لسان المبدع

١ - أسلوبية وصف الذات المقدسة:

عند استقراء الآيات الكريمة التي تكلّمت عن الذات المقدسة ، لم نجد أن لفظ الجلالة (الله) قد وصف بصفة العظيم لوحدها مجردة عن الاقتران بغيرها من الصفات إلاّ في مرة واحدة، محْكيّة عن لسان خزنة أهل النار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾(الحاقة: ٣٣) ، ولم نجد أنه وُصف بصفة (كبير) لوحدها. بل نجد أنها اقترنت بصفات أخر كما سيأتي.

في حين أن ضمير المفرد الغائب - الذي يدلّ على الذات المقدسة – هو من وُصف بالعظمة مقترناً بصفة (العليّ) مرتين مع تقدم صفة العلوّ وتأخر صفة العظمة، وذلك في آيتين فقط ، في قوله تعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ولَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(البقرة ٢٥٥)، وفي قوله

تعالى: ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾(الشورى:٤)، فلم يكن الوصف للفظ الجلالة مباشرة وإنما كان لضمير الغائب المفرد، ويلاحظ أن هاتين الصفتين استعملتا في سياق الكلام عن الملكية المطلقة للسماوات والأرض، بدلالة سعة الكرسي الذي فيه إشارة إلى هيمنة مطلقة وملك دائم ، و كذلك بدلالة (لام الجر) في (له) التي تفيد الملكية ، وهو ما فيه انسجام دلالي واضح بيّن علوّ السماوات، وعظمة الأرض، فقد فرض أسلوب الوصف وسياق الحال في أن يكون هناك تساوق دلالي وتناسق أسلوبي بين الصفة والموصوف. ولم نجد أن هاتين الصفتين(العلي والعظيم) مع بعضهما، استعملتا مقترنتين في وصف شيء آخر، بل اختصتا به تعالى . وهو ما يثبت خصوصية الاقتران بينهما في ذات الموصوف، فلا يستحقّ شيء آخر أن يُوصف بهما غير الذات المقدسة.

والحال نفسه يتكرر في وصفه تعالى بصفة الكبير، فنجد أنها اقترنت مع صفة العلوّ أيضاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾(الحج ٦٢) ، وفي قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾(لقمان ٣٠) وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (سبأ ٢٣). وما يمكن تسجيله للتفريق بين أسلوبية الوصف التي أُعتمِدت في الصفتين، هو السياق الذي استعملتا فيه، فصفة العظيم انساقت مع ذكر مُلك السموات والارض. في حين نجد أن صفة الكبير قد ذُكرت مع سياق وصف الله تعالى بأنه هو الحق، أو مع قول الحق، أو مع ما يتعلق بعالم الغيب . ولكنه مع هذا لم يتوجّه الوصف للفظ الجلالة بصورة مباشرة؛ بل كان لضمير الفصل. واقترنت مع صفة العلو التي لا تنفك عن الحقّ. أمّا في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر ١٢)، نجد أن الوصف باشر لفظ الجلالة؛ لأنه يتعلق بالحكم الذي يصدر عنه تعالى في الفصل بين كفر هؤلاء القوم وإيمانهم بالشرك.

واللافت أيضاً أن صفة العليّ كانت متقدمة دائماً على صفتي الكبير والعظيم في التركيب الوصفي، وهي في قالبٍ صرفيٍّ واحد(فعيل) ؛ وذلك لأن تقدم صفة العليّ ،لما فيها إشعار بمعنى طولي، يقتضي وجود من هو أدنى مرتبة منه في مستويات العلوّ؛ فيكون إثباته مقدما. في حين أن العظيم تُشعر بمعنى ثابت، لا ينازعه فيه غيره في ملك السموات والارض، يقتضي تقديم وتثبيت وصف العلو ثم إثبات العظمة. وهذا ما تبين في الآيات السابقة. إلاّ إننا نتفاجأ في آية واحدة نجد تأخر صفة العلو عن صفة الكبير، ولكن هذه المرة في صيغة صرفية أخرى، هي صيغة(متفاعل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾(الرعد ٩) ، ويبدو أن هنا لفتا أسلوبيا جديداً يحتّمه سياق الوصف، واستعمال صيغة جديدة؛ يتبين من خلال ذكر صفة أخرى سبقتهما هي: عالم الغيب والشهادة، وفي الحقيقة بعد استقراء آراء المفسرين؛ لم أجد أحداً منهم حاول أن يجد مسوغاً لهذا التقديم لصفة الكبر على صفة العلو، أو استعمال صيغة(متفاعل)، إلاّ

عند صاحب الميزان فأنه التفت إلى هذه المغايرة؛ لأنه يرى أن وجود الصفتين له علاقة بوجود الغيب والشهادة وذلك بقوله: ((لأن مفاد مجموع الاسمين، إنه سبحانه محيط بكلِّ شيء، متسلطٌ عليه، ولا يتسلط عليه ولا يغلبه شيء من جهةٍ البتة، فهو يعلم الغيب كما يعلم الشهادة، ولا يتسلط عليه ولا يغلبه غيب حتى يعزب عن علمه بغيبته، كما لا يتسلط عليه شهادة، فهو عالم الغيب والشهادة؛ لأنه كبير متعال)) [١٤] .

فقد ربط بين علم الغيب والشهادة وبين الوصف بالصفتين، وحاول أيضاً أن يجد تعليلاً دلالياً يسوغ وجود صفة المتعال، فيقول: ((فهو سبحانه عليّ ومتعال، أمّا انّه عليّ فلأنه علا كلَّ شيء وتسلّط عليه، والعلو هو التسلط. وأمّا انّه متعال؛ فلأن له غاية العلوّ؛ لأن علّوه كبير بالنسبة إلى كلّ علوّ، فهو العالي المتسلط على كلِّ عالٍ من كلِّ جهة)) [١٥] ، فصفة المتعال بهذه الصيغة جاءت لتعزّز الوصفين السابقين (عالم الغيب والكبير)، فهما في حالة علوٍّ مستمر؛ لأن صيغة (متفاعل) فيها من دلالة الاستمرار والمشاركة ، فالمتعال ((هو المستمرّ في العلوّ ، فانّ المفاعلة والتفاعل يدلّان على الاستمرار ، والاستمرار في العلوّ يناسب ذكره بعد ذكر اسم الكبير، لا قبله)) [١٦] .

ولا تخفى هنا ملاحظة الجانب الصوتي، ومراعاة الفاصلة في استعمال هذا الوزن الذي حُذفت عينه في الاستعمال، ليأتي هذا التجانس الصوتي بين الفواصل متوائماً مع المستوى الدلالي، بلا خدش للمعنى المراد من استعمال المفردة، فجاءت بالفواصل كلمات متساوية مع مفردة (متعال) من جهة الوزن والصوت ، كـ (مِنْ وَالٍ ، الثقال، المحال، في ضلال، الآصال) لما ينطوي عليه هذا التكرار لصوت المدّ واللام من إمكانات تعبيرية هائلة في التنغيم والايقاع والكثافة والتكرار، وطرق الأداء الصوتي يسوّغ تقديم صفة الكبير عليها ، ((فالفاصلة تضفي على النص قيمة صوتية منتظمة ... فهي بمثابة محطة لتزويد القارئ بنفس جديد ، ومن جهة أخرى إحساسه أثناء الوقوف عندها، بأنه يقف لدى معلم من معالم السياق المتصل، ورائق الإيقاع وروائع المعنى)) [١٧] وهو ما يشكّل تناسقاً صوتياً يعطي بعداً جمالياً يعضّد البعد الدلالي الذي بيّنه البحث.

ونستنتج ممّا مضى: أن الصفتين بينهما عموم وخصوص من جهات عدة، وذلك في:

- اشتراكهما بالاقتران والتضامّ مع صفة (العلي)؛ لما تتمتع به هذه الصفة من القدرة على الانسجام الأسلوبي والدلالي مع هاتين الصفتين في وصف الذات المقدسة.

- وافتراقهما في سياق الكلام الذي ذكرتا فيه؛ لذا فإن التفريق الذي ذهب اليه أصحاب اللغة والتفسير؛ له وجوه قد تكون مقبولة ، فيقول أحدهم : ((ثمّ إنّ العظيم أقوى مرتبة وأرفع درجة من الكبير، فانّ الكبير يقابله الصغير، وبانتفاء الصغر يتحقّق مفهوم الكبر، وهذا أهون من تحقّق مفهوم العظمة ، فذكر العظيم يدلّ على مرتبة رفيعة ، ولا يذكر الكبير إلَّا في مورد يراد فيه مطلق الرفعة والكبر)) [١٨] ، من هنا نجد أن مقام الربوبية لم يُوصف بصفة الكبير، لكّنه وُصف بصفة العظيم؛ لأنها دلالياً تنسجم مع هذا المقام الذي فيه الهيمنة على جميع عالم الوجود، وهو أعلى درجات الرفعة والسمو.

في حين اقترنت العظمة مع مقام الربوبية في ثلاث آيات وبتركيب واحد: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

(الواقعة: ٧٤و ٩٦) والحاقة :٥٢ ، ويُلاحظ على هذا التركيب، من جهة الوظيفة النحوية احتمالان:

١- احتمال أن يكون الوصف لمفردة (الاسم)، فالعظمة حينها تكون صفة للاسم، ومعلوم أن الاسم غير المسمى، كما ثبت ذلك عند أكثر أصحاب التفسير. [١٩] فلا تكون حينها مفردة (العظيم) صفة للذات المقدسة؛ بل هي صفة للاسم وليست للربوبية.

٢- أن تكون صفةً لمقام الربوبية – وهو الأقرب - فيكون هذا المقام هو الموصوف بصفة العظمة، وليست الذات الإلهية. فهذه الصفة غير قادرة على ان تستوعب الوصف للذات الإلهية مفردة؛ لأنها تحتاج لأن تقترن بصفة (العليّ) كما تبين سابقاً.

ومن هنا نستنتج أمورا مهمة: أن صفة العظمة لله تعالى لكي تصحّ في وصف المولى تحتاج إلى مقامين: مقام العلوّ معها، وذلك في سياق الهيمنة على السماوات والأرض، ومقام الربوبية أيضاً في سياق وجوب إظهار العبودية بوساطة التسبيح له تعالى؛ وذلك حتى لا يتوهم القارئ أن صفة (عظيم) التي وُصفت بها أشياء كثيرة ومتباينة؛ هي عينها التي وُصفت بها الذات المقدسة؛ لذا نجد أن الذكر الخاص بالركوع في الصلاة، مثلاً هو:(سبحان ربي العظيم وبحمده) ، فالتسبيح لمقام الربوبية التي توصف بالعظمة، ويتبعها ذكر السجود الذي يجمع مقام الربوبية بصفة العلو (سبحان ربي الأعلى وبحمده).

من هنا تبين أن المسألة فيها بعدان:

الأول: دلالي، وهو أنّ تضام صفة العلوّ وتلازمها مع الصفتين، فيه دلالة مهمة للتفريق بين وصف الذات المقدسة بهاتين الصفتين ووصف الأشياء الأخرى التي توصف بهما، فهو مع وصفه بهاتين الصفتين لكنّه يتعالى بهما عن غيره ، وهنا تبرز مكامن دقة الأسلوب وأسراره للنص القرآني في اختيار المفردة التي تأتي وصفاً لله تعالى .

والثاني: من التوجيه النحوي الوظيفي؛ يُحتمل أن الصفتين ليستا وصفاً للذات المقدسة بصورة مباشرة، بل هما وصف للعلوّ، فيكون التوجيه النحوي الجديد ليس من باب تعدد الوصف - سواء أكان الوصف خبرًا أم نعتاً – بل هو من باب وصف صفة بصفة أخرى. وهو واضح من الآيات التي مرّ ذكرها.

وهكذا نرى إن أسلوبية التركيب القرآني، أعطت بعداً دلالياً جديداً لهذه المفردة في التركيب الخاص بالكلام عن الذات المقدسة؛ فاذا ذُكر لفظ الجلالة أو ما يدلُّ عليه من الضمائر، يُوصف بالعلوّ والعظمة معاً؛ وهو ما يفرض علينا موقفاً عملّياً عند التصديق في خاتمة التلاوات القرآنية، وهو أن لا نهمل صفة العلوّ، فيُستحسن أن نقول: (صدق الله العلي العظيم) ، لكي يتطابق ذلك مع أسلوبية المفردة في التركيب القرآني ، إذ استعملت في هذا التركيب على لسان المبدع نفسه ، وأمّا الله العظيم ؛ فإنها جاءت مرة واحدة ، ولم تكن على لسان المولى جلّ وعلا؛ ليتناسب هذا الذكر مع علوّ القرآن على باقي الكلام، وعظمته في عرض الحقائق الكونية، وهو الذي وصفه مبدعه في قوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(الحجر: ٨٧).

٢- أسلوبية وصف المتقابلَين:

تُعدُّ المقابلة بين بعض الأشياء طريقاً مهماً للكشف الدلالي والأسلوبي، فالمتضادان مثلاً يعرف أحدهما بالآخر حتى قيل: الأشياء تُعرف بأضدادها، فالعذاب مثلاً يقابله الأجر، وكذلك يكون الفوز ضداً للعذاب ،

وقد وصفت هذه الأمور الثلاثة بصفة العظمة، فقد وُصف العذاب مثلاً في خمس عشرة مرة ، وفي قباله وصف الأجر بالعدد نفسه من المرات، وكذلك الفوز ايضاً وصف بالعدد نفسه.

وهذا التساوي في وصف هذه الأشياء المتقابلة؛ يُنبئ عن مدى دقة الأسلوب القرآني في الموازنة بين المفردات التي يخاطب الله تعالى بها عباده، وهي بينها هذا التضاد في المعنى، إذ أن العذاب العظيم يتطابق بالكمِّ مع الأجر العظيم، ويتعدّاه إلى الفوز العظيم بالكمّية نفسها. والرسالة واضحة للمتلقي وهي: إنه بقدر ما يكون هناك عذابٌ عظيم، هناك أجرٌ يقابله في الصفة والمقدار، ومع الأجر هناك فوز عظيم أيضا موصوف بذات الصفة والمقدار. وهذا فيه من التوزان الدلالي الذي يُطمئن القارئ عن عدالةٍ مطلقةٍ، يحقّقها الخطاب في وصف الأشياء التي لها علاقة بمتلقي النص القرآني من الثواب والعقاب، بما يحفّز هذا المتلقي من السعي وراء الأجر والفوز، مبتعداً عن العذاب. وهذا يمكّننا أن نسمَهُ بسمة: أسلوبية التوازن العددي، وكثيراً ما أثبتت الدراسات عن الإعجاز القرآني هذا النوع من التوازن في استعمالات النص القرآني.

وفي مقابل ذلك نجد أن صفة الكبير لها مدلول أسلوبي جديد عند وصف هذه الأشياء، فالأجر قد يوصف بالعظمة تارةً، وبالكبر تارةً أخرى، ولكن الأجر العظيم له مقام خاص به ؛ فهو يُعطى للمحسنين والمتقين، كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(ال عمران:١٧٢)؛ وذلك لأن الاحسان والتقوى لهما مراتب متقدمة في حياة المؤمن؛ لما فيهما من جانب التطوع. كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(الحجرات ٣).

في حين يُمنح الأجر الكبير إلى مقام آخر، وهو مقام الصابرين والعاملين الصالحات والمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (هود: ١١)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(فاطر ٧)، وكذلك في قوله: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(الاسراء ٩)، فهنا نجد أن الإيمان والعمل الصالح فيهما تكليف من المولى بالوجوب، وترك هذا التكليف يوجب العذاب . في حين أن الأجر يكون عظيماً للمحسن والمتقي، والإحسان والتقوى تطوع. فجاء التفريق في وصف الأجر على وفق استحقاق المأجور.

ويتأكد ما ذهبنا إليه في قراءة قوله تعالى: ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد ٧)، فيلاحظ أن السياق الذي جاء بصفة الكبير سياق أمر في الأفعال: (آمِنوا) و(أنفقوا)، والأمر دلالته المباشرة تدل على الوجوب، فاذا ما استجاب المأمور لهذه الأوامر يكون الثواب له أجراً كبيراً.

ولم يُوصف العذاب بصفة (كبير) إلاّ مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾(الفرقان:١٩)، ويبدو أن التذوق

الذي أُسند اليه العذاب هو في الحياة الدنيا ، أمّا عذاب الآخرة؛ فأنه غالباً ما يوصف بالعظيم.

٣- أسلوبية التفاضل بـ (أفعل التفضيل)

المعروف أن التفضيل يعني دلالياً : المفاضلة بين شيئين اشتركا في صفة معينة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة .[٢٠] وقد استعمل هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، ومنها في الصفتين اللتين نحن بصددهما. فنرى أن أفعل التفضيل(أعظم)، لم ترد في القرآن إلاّ مرتين مضافة الى مفردة (درجة)، وقد سيقت صفةً للمؤمنين والمجاهدين والمهاجرين. وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(التوبة:٢٠) ، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(الحديد: ١٠) ، فمن الأوجه الدلالية التي توحيها أسلوبية المفردة هو أن صفة (أعظم) تتسامى دلالياً من حالة الفعل إلى صيغة التفضيل دون المرور بصيغة(فعيل)، وهي لازمة للدرجات التي ضمنها الله تعالى لمن يستحقها.

في حين أن صيغة(أكبر) جاءت ثمان عشرة مرة وهي صفة لأشياء مختلفة ومتباينة. وهذا فيه معلمٌ أسلوبي و دلالي مهم، وهو أن المفاضلة بالعظمة لها مقام خاص بدرجات المؤمنين، ولا يتعدى معه إلى المفاضلة بين الأشياء الأخر. أمّا صيغة أكبر فهي صالحة للمفاضلة بين الأشياء المختلفة؛ لأن هذه الأشياء قابلة للوصف بصفة الكبير أولاً ثم بعد ذلك تأتي المفاضلة بين هذه الأشياء، ويتضح ذلك في قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩)، فوُصف الإثم أولاً بأنه كبير ثم جاءت المفاضلة بينه وبين المنفعة بصيغة أكبر، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(البقرة:٢١٧) ، فهنا أيضا نلاحظ بأن القتال وصف بصفة (كبير) في بداية الأمر، ثم فُوضل بينه وبين الفتنة؛ لأن كليهما يستحق أن يوصف بصفة الكبير إذا ما قيس مع الأمور التي تقابله. وهذا لا شك يعود إلى القيمة الدلالية التي تكتنزها كلُّ صفة من هاتين الصفتين. فنجد أن خصوصية المفردة(الصفة) ودقة الدلالة السياقية المستعملة فيها؛ جعلتها تتبوأ موقعاً دلالياً خاصاً يؤهلها الى الاختيار الى سياقها التي تنسجم معه؛ لتكون هي المناسب الأوحد في سياق الاستعمال، وفرضت دلالتُها هذه أسلوبية نصيةً متميزة. فصفة (أعظم) التي جاءت بصورة مباشرة مع الموصوف، لها نكهة دلالية أسلوبية لا تملكها مفردة وصفة (أكبر) التي تساوقت مع صفة كبير، والعكس صحيح.

المبحث الثالث : أسلوبية اختلاف لسان الواصف:

ويتضح ذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية التي ذكرت هاتين الصفتين حكاية عن ألسنة الآخرين، وفي الوقت نفسه استعملت على لسان المبدع. فقد وجد البحث أن هناك اشياءً وُصفت بهذه الصفة على لسان المولى عز وجل، فهي تحتاج إلى معرفةٍ حقيقيةٍ يتعيّن الوقوف عليها، ولا سيما أن هذه الصفة

تحمل دلالات مهمة في سياقات الاستعمال، فهي صفة للباري عز وجل، ومن أسمائه الحسنى، فعندما يُضْفيها المبدع على نعت أشياء أخرى ؛ يعني أنها حملت جزءا مهماً من الوصف، فنحن هنا بحاجة إلى معرفة استحقاق هذه الأشياء وأهميتها. وهي أمور يبّين عظمتها سياق التركيب الذي وضعت فيه، وفي الحقيقة أن هذا النمط الوصفي يعدّ ملمحاً أسلوبياً يستحق الوقوف عنده، والتدبّر في هذه الأشياء المتعددة والمتقابلة التي وُصفت بأنها عظيمة. ومن هذه الأشياء التي وصفت بلسان المبدع ولسان غيره :

١- توصيف البشر:

قد يوصف الإنسان بأنه عظيم، أو توصف بعض صفاته بالعظمة ، وهذا ورد في القرآن الكريم بوضوح لافت، فقد وصف خُلق النبي(صلى الله عليه واله وسلم) على لسان الباري مخاطباً له: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾(القلم:٤) ، ففي قوله تعالى نجد أن اثبات صفة العظمة للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) احتاج الى ثلاثة تأكيدات: بـ (إن)، واللام، واسمية الجملة ، كما أن التنكير للخُلق ووصفه بصفة نكرة؛ ينفعنا في عموم الوصف وتأكيده، وهذا الأسلوب مفيد للتعظيم والتصريح به للدلالة على علوّ قدره وتفرّده بذلك وتقرير حبّه في الأذهان وهو تقرير لحالة ثابتة في خلقه (صلى الله عليه واله وسلم)؛ إذ ما من أحد ولو كان كافراً إلاّ وهو يمدح الخُلق وصاحبه، لذا كان المشركون يصفونه بأنه الصادق الأمين. ويبدو أنّ وصف الخُلق بهذه الصفة كان مستعظماً من الناس؛ لذا قالوا المراد منه هو دين الإسلام ، أو هو القرآن نفسه. [٢١] وإنّما وصف الله سبحانه خلق النبي (صلى الله عليه وآله) بالعظمة ينساق مع ما وصف به القرآن نفسه ووصف عرشه تعالى؛ وذلك لبيان أنّ ذلك الخلق جامع لمكارم الأخلاق فهو عظيم بعظمة القرآن ((وهذه درجة عالية لم يتيسّر لأحد من الأنبياء .لكلّ نبيّ في الأنام فضيلة من أراد أن يرى رسول الله ممّن لم يدركه من امّته فلينظر إلى القرآن فإنّه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر إلى رسول الله فكأنّ القرآن انتشاء صورة جسديّة يقال له محمّد : والأنبياء كلّهم أنوارهم كالكواكب بالنسبة إلى نوره ومع أنّه كان غائبا عنهم استناروا من صفاء نوره)) [٢٢] ومنه وبنفس الدرجة وصف القرآن الكريم بأنه عظيم.

وفي مقاربة أخرى حين يذهب آخرون إلى أن نصيب العبد من العظمة يكون بحسب قربه من الله تعالى، ولمّا إنّ العظيم من أسماء الله عزّ وجلّ بمعنى المتفوّق على من سواه ظاهرا ومعنى . وهذه الصفة من آثار القدرة والعلم . فالعبد المتقرّب من الله تعالى لا بدّ وأن يتّصف بصفات الله وهذا الاتّصاف انّما هو في المعنى لا في الظاهر ، فإذا اتّصف العبد بصفة من صفات الله عزّ وجلّ حقّ الاتّصاف : فهو عظيم في هذه الصفة . وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. [٢٣]

وفي المقابل نجد أن هذه الصفة حين أطلقت على لسان البشر كانت تتوجه إلى مقام آخر ومعنى من المعاني القريبة للحياة الدنيوية التي يمارسها البشر، كما يُحكى ذلك على لسان المشركين في قوله تعالى: ﴿ وَقالُوا لَوْلا نُزِّلَ هذَا القرآن عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾(الزخرف :٣١) من إحدى القريتين مكّة والطائف (عَظِيمٍ) بالجاه والمال ، كالوليد بن المغيرة المخزومي من مكّة ، وعروة بن مسعود الثقفي[٢٤]

، ومرادهم أن الرسالة منْزلة شريفة إلهية لا ينبغي أن يتلبّس بها إلاّ رجل شريف في نفسه عظيم مطاع في قومه ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقير فاقد لهذه الخصلة ، فلو كان القرآن الذي جاء به وحياً نازلاً من الله فلولا نزّل على رجل عظيم من مكة أو الطائف كثير المال رفيع المنزلة . وهذه المقاييس هي التي دفعتهم إلى وصف هذين الرجلين بالعظمة ، فإنّ الرسالة منصب عظيم في رأيهم وهو إقرار منهم بعظمة الرسالة ، والعظيم لا يليق إلّا بعظيم . ((ولم يعلموا أنّها رتبة روحانيّة تستدعي عظم النفس بالتحلّي بالفضائل والكمالات القدسيّة ، لا التزخرف بالزخارف الدنيويّة)) [٢٥] فكأن الآية السابقة : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ جاءت ردّاً على هذه الدعوى، فالعظمة في موازين البشر:(المال والجاه) ، ولكن في موازين السماء لم تكن هذه الأمور من قيم الرسالة الإلهية، بل إن العظمة في الخُلُق؛ فالأخلاق الحميدة هي ميزان الرسالة؛ لأن الرسالة رحمة ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف:٣٢). فوصف خلق النبي بالعظمة هو نابع من عظمة الرحمة الإلهية التي قسّمها الله تعالى على عباده وكان له منها الحظ الأوفى.

امّا صفة الكبير فقد أُطلقت على البشر أيضا، ولكن في معنى مخالف لدرجات القرب أو البعد او التقييم، فقد ورد هذا الوصف على لسان بنات شعيب بوصف أبيهما ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾(القصص:٢٣) ، وفي أقرب معانيها تدل على كبر السنّ ، أي قد أضعفه الكبر، فلا يستطيع أن يخرج للسقي ((الفائدة في هذا، أنه لا يقدر على السقي لكبره ، فلذلك خرجنا ونحن نساء)) [٢٦] .. وهذا المعنى نجده أيضا في وصف أولاد يعقوب لأبيهما ﴿ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف ٧٨) ، أي : طاعناً في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة به يتعلل عن شقيقه الهالك، وقيل: أراد مسناً كبيراً في القدر. [٢٧] وربما يطلق على الكبير من جهة الحجم ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٣)، وهكذا تتعدد الأشياء التي توصف بصفة كبير، وهي أشياء متباعدة ، وأغلبها مادية ، لم ينظر بوصفها إلى درجة معينة من القرب الإلهي، بعكس صفة عظيم التي تكون صالحة لوصف الأشياء المعنوية.

٢- توصيف العرش

وصف عرش بلقيس على لسان الهدهد لمّا سأله سليمان عن سبب غيابه فكان جوابه: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل ٢٣) ، فقد وصف عرش بلقيس على انه عظيم، ولا شكّ انه يختلف عن وصف عرش المولى بهذه الصفة على لسانه هو جلَّ وعلا، ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(التوبة: ١٢٩) ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(النحل: ٢٦) ، وهذا متأتٍّ من نوعية الموصوف وقيمته الدلالية، فعرش الله تعالى ليس عرشاً مادياً حتى نستطيع أن نتصور معنى العظمة بالمعنى اللغوي التي وُصف بها، فالعرش لغة هو: سرير الملك. [٢٨] وهذا السرير فيه إشارة إلى مركز السلطة وإصدار الأوامر للرعية،

ويلازمه أن يكون العرش سريراً مناسباً ومجانساً مع صاحبه ، فإن كان المستوي عليه من عالم المادّة فهو مادّي ، أو من عالم الملكوت فهو ملكوتي ، ومن ذلك النوع : العرش المنتسب إلى اللّه تعالى، فانّه من قبيل سرير الملك ،ولكن ليس السرير المادي ذا الابعاد المجسمة المدركة بالحواس ؛ بل هو ما يحيط الخلق ويعلو على كافّة السماوات والأرض. [٢٩] فعرش اللّه الّذى يستوي عليه: لا بدّ وأن يكون من عالم الملكوت﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾(طه: ٥) ، وبلحاظ تفوّقه واعتلائه على جميع الخلق : لازم أن يكون ممّا وراء عوالم الخلق والسماوات والأرض وما بينه. [٣٠] فوصفه بالعظمة يناسب مقامه ومعناه. على العكس من عرش بلقيس الذي كان عرشاً مادياً مجسماً، ملموساً؛ فوصفه بالعظمة يمكن استيعابه ومعرفته على وفق المعروف من العروش التي تُعمل للملوك في معنى العظيم في المعاجم اللغوية، فعرش بلقيس يُعدَ عظيماً بمقايسته مع عروش الملوك الأخر، ولا وجه بمقايسته مع العرش الملكوتي الإلهي؛ لذا نرى أن سليمان سلّط الضوء على هذا العرش فطلب من الذين حوله أن يأتوه بهذا العرش: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (النمل:٣٨) ، وذلك لأنه يمثل مركز السلطة الذي أبهر الهدهد فوصفه بالعظمة، وأراد سليمان أن يبّين قيمة عرشها مقارنة بعرش ملكه هو الذي وهبه الله تعالى إليه، فطلب إحضاره اليه؛ ليكشف لها ولمن أعجب بعرشها مدى تفاهته، فبعد أن وصلت بلقيس إلى مكان العرش قال : ﴿ أَهَكَذَا عَرْشُكِ؟ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾(النمل:٤٢). وكان هذا سبباً في دخولها معه في دينه.

كما يمكن ملاحظة ملمح أسلوبي في تنكير وتعريف الوصف، فإن عرش بلقيس جاء نكرة، وعموم النكرة يستدعي وجود عروش أخرى مماثلة، فهو عظيم إذا ما قورن بها. في حين نجد أن العرش الإلهي جاء معرفة، وهو ما يدلّ على تفرّده وتخصيصه وعدم المماثلة له بالوصف.

٣- توصيف الحظ:

وُصف الحظ على لسان بني إسرائيل في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾(القصص ٧٩) ، فنظر ضعفاء العقول إلى المال والزينة ، ولشدة تأثرهم في الأمور المادية ؛ ذهلوا عن عاقبة البغي والكبرياء فتمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون ليغرقوا في الملذات والشهوات ، ولو نظروا بعين البصيرة لقالوا كما قال أولو العلم: ﴿ وقالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وعَمِلَ صالِحاً ولا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (القصص: ٨٠) . فضمير يلقّاها يعود إلى المثوبة والمنزلة عند اللّه التي دلّ عليها سياق الكلام ، وهذا المعنى قريب إلى الدلالة في الآية من سورة فصلت ، وهي تصف من يستعين بالصبر والصلاة الذي يصفه الله تعالى ولا ينالها إلا ذو حظ عظيم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت ٣٥). فضمير يلقّاها هنا يعود إلى هذه الصفة ، وهي دفع السيئة بالحسنة ، التي بينتها الآية السابقة ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(فصلت: ٣٤) ، وذو الحظ العظيم هو من كان مرضياً عند اللّه ، والمعنى أن

دفع السيئة بالحسنة منقبة عظيمة لا يتحلّى بها إلا من صبر عند الشدائد ، وكان وجيها عند الله.[٣١] وهنا نجد هذا التقارب إن الذي يصدق عليه أن يكون ذا حظ عظيم، هو من يفوز بمرضاة الله تعالى.

والموازنة الأسلوبية تقتضي أن نجد علاقة بين الآيتين على الرغم من تباعدهما في الوجود التصنيفي للقرآن الكريم، واختلاف موضوعيهما واختلاف اللسان الذي حكى القرآن عنه التركيب (حظ عظيم)، فقد وُصف قارون على لسان الذين يريدون الدنيا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) وفي سياق الكلام ذكر، ولكن الذين آمنوا بينوا أن مرضاة الله أفضل ﴿ ولا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾.

وفي سورة فصلت كان الكلام على لسان المبدع، نجد هذا الاشتراك في قوله تعالى﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ وايضا يتكرر التركيب ﴿ وما يُلَقَّاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، فكل صابر هو الذي يلقّاها وكلّ من يلقّاها فهو ذو حظ عظيم ينتج كل صابر هو ذو حظ عظيم.[٣٢] ،ومنها نستطيع أن نقول في سورة القصص ﴿ ولا يُلَقَّاها إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ تساوي أصحاب الحظ العظيم فكأن جواب الذين أوتوا العلم لهؤلاء الذين تمنّوا ملك قارون ووصفوه بأنه ذو حظ عظيم: أن ما وصفتموه بهذا الوصف هم الصابرون فقط وليس ما تدّعونه من وصف قارون.

فالحظ الذي يوصف بالعظمة هو ما كان جزاءً للصابرين، وليس ما ذهب اليه الذين أعجبوا بمال قارون، فوصفه بهذه الصفة مهم لبيان حقيقة الموصوف الذي يستحقه. وهذا التعانق الدلالي الأسلوبي قادر على كشف الدلالة في النص القرآني.

٤- توصيف الكيد

وصف كيد نسوة يوسف بصفة العظيم على لسان عزيز مصر: ﴿ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ (يوسف٢٨)، وذلك إذا ما قيس بكيد الآخرين، أو كيد الرجال خاصة، بدلالة ضمير النسوة، وعظمته بانت من العمل الذي قامت به زوجة العزيز نفسها الذي هو مراودة يوسف عن نفسه، وهذه المراودة هي بعضٌ من كيد النساء العام بدلالة (من) التي تدلّ على التبعيض، فالذي وُصف بالعظمة هو الكيد العام وليس المراودة التي هي جزء من الكيد. ومنها يتبين أن مجموعة من الأفعال بمجموعها تشكّل الكيد الذي يستحق أن يوصف بهذه الصفة. وكيد النسوة وصف بصفة العظمة بموازنته بكيد الآخرين، الذي قد لا يكون يستحق هذا الوصف. فالنساء كما يذهب الى ذلك كثير من المفسرين لهنَّ في هذا الكيد ما لا يكون للرجال.[٣٣] ولم نجد أن كيداً آخر وصف بالعظمة إلاّ كيد نسوة يوسف، وجاء الوصف على لسان غير المولى عز وجل، وإنما نجد أن الله تعالى عند وصفه لكيد الآخرين يضعّفه، ويصفه كيداً ضعيفاً، كما في وصف كيد الشيطان في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦) ، وكذلك كيد السحرة في قوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾(طه: ٦٩)، وكيد الكافرين﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر: ٢٥) ، وكيد فرعون: ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾(غافر:٣٧). فهل معنى هذا أن كيد النساء أقوى وأعظم من كيد الشيطان وكيد فرعون والكفار ؟ .وقد أجاب بعضهم أن كيد النساء من كيد الشيطان ، فكيده أصل ، وكيدهنّ فرع .[٣٤]

والمراد بضعف الشيطان في كيده ؛ انه لا سلطان له على عباد اللَّه إلا من اتبعه من الغاوين، والمراد بعظمة كيد النساء في أنهن أقوى جنود الشيطان وأتباعه ، فقد روي عن إبليس أنه قال: النساء فخوخي ومصائدي ، فإذا اجتمعت عليّ لعنات الصالحين ذهبت إلى النساء فطابت نفسي بهن . [٣٥] وهذا ربما يكون مخالفاً لما ذهب إليه آخر بقوله: ((لأن الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي ، وأما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ، ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه أن يكون تصحيحا له ، ويحتمل أن لا يكون المراد تصويبه ، وأيضا فإن كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة إليه ، ألا ترى أول الآية - الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا - وأيضا فإن الكيد الذي يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله ، وشواهد الشرع قائمة على ذلك ، فلا يتصور حينئذ أن يكون كيدهن أعظم من كيده)) [٣٦] .

وهنا لفت دلالي وأسلوبي مهم يحتاج إلى تأمل في سياق الآيات، لأن وصف كيد النساء بالعظمة لم يكن عن لسان المولى عز وجل؛ بل هو عن لسان عزيز مصر، وهذ الكيد عظيم اذا ما قورن بكيد الرجال، وربما لأن المتكلم كان رجلاً ، وهو ما أكده دعاء يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾(يوسف: ٣٣) ، في حين نرى أن الكيد الذي اتصف به الشيطان كان ضعيفاً، وكذلك كيد الكافرين وكيد السحرة وكيد فرعون كلّها كانت عن لسان المولى عزّ وجل، فهو وصف حقيقي من لسان المبدع، وهذه التفاتة مهمة في قيمة الدلالة المحكيّة عن لسان غير المبدع ، لكن القرآن يحكيه عنه لبيان نوازعه النفسية وتصوراته هو. فعظمة الكيد النسوي، وهو اقرار بصحته في السياق الذي حدثت فيه حادثة المراودة، أمّا الكيد الذي يصفه المولى للآخرين فهو كيد ضعيف؛ لأنه يقاس بكيد المولى عز وجل.

وعلى هذا التحليل نستطيع أن نقيس ما وصف من الأشياء بصفات العظمة والكبر في جميع الآيات القرآنية ، لذا نكتفي بهذا العدد من المواطن التي ذكرت فيها الصفتين.

نتائج البحث

١- الأسلوبية كمنهج علمي تعد اليوم من أهم الوسائل التي تدرس النص القرآني لبيان دلالته التي أراد لها مبدعها أن تكون خالدة ومعجزة.

٢- أسلوب القرآن دقيق في توظيف المفردات، ويسعى دائماً إلى توسيع المعنى في سياق الاستعمال؛ ليفرز دلالات غير متوقعة تكون مدعاة للتفكر والتدبر.

٣- فأسلوب القرآن متفرّد بوصفه للحقيقة المطلقة الشاملة فوق المتغيرات الزمانية والمكانية، فيصف الأشياء وصفاً دقيقاً ليستوعبها العقل، ويشير الى أشياء قد يقف الادراك أمامها ولا يتجاوز محاولة الإيمان بها كما هي، دون المساس بها.

٤- على الرغم من الترابط الدلالي بين صفتي العظيم والكبير ،تبين أن القرآن استعملهما في سياقتهما الخاصة بكل واحدة منهما.

٥- لابد من أن تتضافر مع الصفتين محل البحث صفة العلو لتؤهلهما لوصف الباري عز وجل، وهذا يعزز حتمية الذكر المزدوج بينهما في التصديق لقراءة القرآن الكريم.

٦- وصف الأشياء المتقابلة بصفة واحدة فيه من التحفيز للمتلقي على العمل على كسب الموصوف الإيجابي وترك الآخر السلبي ليضمن رضا المولى عز وجل.

٧- لسان الواصف له أثر مهم في قوة استعمال الوصف ، فما وصف بلسان المبدع العالم بكل شيء ليس كوصف الآخرين له، فالواصف الآخر قد لا يعي حقيقة الوصف.

الهوامش

١- اللسانيات وتحليل النصوص : ٥٨ رابح بوحوش، جدرا للكتاب العالمي عمان، عالم الكتب الحديث ، أربد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

٢- النص القرآني وأفاق الكتابة، ادونيس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٠ : ٢٩- ٣٠

٣- ينظر النص ومستويات التحليل الأسلوبي علي حسين يوسف موقع الحوار المتمدن - ٢٠١٤ / ٣ / ١٩

٤- ينظر: المصدر نفسه.

٥- البيان في روائع القرآن ١: ٢٩٣

٦- النص القرآني وأفق الكتابة: ٢٧

٧- جماليات المفردة القرآنية ، الدكتور أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباة والنشر سوريا ، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م : ٢٥

٨- الكلمة في الرواية، ميخائيل بختين، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة القافة ، دمشق: ٢٩

٩- دراسة اختلاف بنية المفردة القرآنية ١-٢ أبو دجانة النجدي موقع ملتقى أهل الحديث > منتدى القرآن الكريم وعلومه

١٠- ينظر النص ومستويات التحليل الأسلوبي علي حسين يوسف موقع الحوار المتمدن - ٢٠١٤ / ٣ / ١٩

١١- معجم مقاييس اللغة ٤: ٣٥٥ وظ لسان العرب ٥: ١٢٨

١٢- ينظر: مفردات الفاظ القرآن :٦٩٦

١٣- ينظر: التحقيق في كلمات القرآن ١٠: ١٧

١٤- الميزان في تفسير القرآن١١: ٣٠٨

١٥- المصدر نفسه ١١: ٣٠٨

١٦- التحقيق في كلمات القرآن ١٠ :٣٠

١٧- الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان : ٢٠٦

١٨- التحقيق في كلمات القرآن ٨: ١٧٦

١٩- ينظر فهم الخطاب القرآني بين الامامية والاشاعرة: ٩٤

٢٠- ينظر: شرح شافية ابن الحاجب:١: ٢٧٩

٢١- ظ: التبيان في تفسير القرآن ١٠: ٧٥

٢٢- تفسير مقتنيات الدرر ١١: ٢١٠

٢٣- ظ:التحقيق في كلمات القرآن ٨: ١٧٤ وما بعدها

٢٤- ظ : جامع البيان في تفسير القرآن ٢٥: ٨٣

٢٥- زبدة التفاسير.٦: ٢٤٩

٢٦- معاني القرآن النحاس ٥: ١٧٣

٢٧- ينظر تفسير روح المعاني ١٣ : ٣٣

٢٨- ينظر: معجم العين ١ : ٢٤٩

٢٩- ظ: شرح فصوص الحكم ٦٠١

٣٠- ظ:التحقيق في كلمات القرآن ٨: ٨٦

٣١- ظ تفسير الكاشف ٦: ٨٨ و ٤٩٢

٣٢- ظ : روح المعاني الالوسي ٢٤: ١٢٤

٣٣- ينظر: التفسير الكبير ١٨: ١٢٤ وينظر روح المعاني ١٢: ٢٢٤

٣٤- ينظر: تفسير الكاشف ٤: ٣٠٥

٣٥- ينظر: المصدر نفسه

٣٦- الأنصاف فيما اختلف من الكشاف ٢ :٣١٥

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، رسالة ماجستير ، إعداد الطالبة بداش حنيفة، كلية الآداب واللغات ، جامعة منتوري قسنطينة/ الجزائر ٢٠٠٨

٢- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، ناصر الدين حمد بن محمد بن المنير الإسكندري المالكي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

٣- البيان في روائع القرآن، الدكتور تمام حسان ، مطبوع الأوفسيت.

٤- التبيان في تفسير القرآن - ،أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسي(٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي: مكتب الاعلام الاسلامي الطبعة : الأولى، رمضان المبارك ١٢٠٩ هـ . ق

٥- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تأليف الشيخ حسن المصطفوي وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي : طهران -الطبعة الأولى : ١٤١٧ هـ

٦-التّفسير الكاشف،محمّدجوادمغنيّة،دارالعلمللملايين-لبنان بيروت الطبعة الثالثة ،آذار (مارس) ١٩٨١م

٧- التفسير الكبير , للإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) الدار العلمية , الطبعة الثالثة , د.ت

٨- الكلمة في الرواية، ميخائيل بختين، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة القافة ، دمشق:

٩- اللسانيات وتحليل النصوص ،رابح بوحوش، جدرا للكتاب العالمي عمان، عالم الكتب الحديث ، أربد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ .

١٠- النص القرآني وآفاق الكتابة، أدونيس، دار الآداب، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٠ م

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ، ضبط وتوثيق وتخريج، صدقي جميل العطار، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

١٢- جماليات المفردة القرآنية ، الدكتور أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباة والنشر سوريا ، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م

١٣- دراسة اختلاف بنية المفردة القرآنية ١-٢ أبو دجانة النجدي موقع ملتقى أهل الحديث > منتدى القرآن الكريم وعلومه

١٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، بعناية السيد محمود شكري الآلوسي، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .د.ت

١٥- زبدة التفاسير ، الملا فتح الله الكاشاني، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، إيران – قم، الطبعة : الأولى ١٤٢٣ هـ . ق

١٦- شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين محمد بن الحسن الأسترآباذي النحوي ٦٨٦ هـ حققهما ، وضبط غريبهما ، وشرح مبهمهما ، الأساتذة محمد نور الحسن - محمد الزفزاف - محمد محيى عبد الحميد دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ م

١٧- شرح فصوص الحكم، مؤيد الدين الجندي، صححه وعلق عليه : الأستاذ السيد جلال الدين الآشتياني ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة : الثانية ١٤٢٣ ق .

فهم الخطاب القرآني بين الامامية والاشاعرة . د صباح عيدان حمود العبادي. دار الفيحاء ، البصرة ٢٠١٣

١٨- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٠٠ - ١٧٥ هـ . تحقيق الدكتور مهدي

المخزومي الدكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة دار الهجرة ، الطبعة الثانية - إيران : ١٤٠٩هـ
١٩- لسان العرب ، للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ، نشر أدب الحوزة قم - إيران ١٤٠٥ هـ ١٣٦٣ ق
٢٠- معاني القرآن الكريم للإمام أبي جعفر النحاس المتوفى ٣٣٨هـ تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م
٢١- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، المتوفى في حدود ٤٢٥ هـ، تحقيق :صفوان عدنان داوودي، منشورات طليعة النور، الطبعة الثانية : ١٤٢٧هـ
٢٢- مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا٣٩٥ بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون مكتب الاعلام الاسلامي جمادي الآخرة ١٤٠٤
٢٣- مقتنيات الدرر ، مير سيد علي الحائري الطهراني، دار الكتاب الإسلامية، طهران، ١٣٣٧ هـ . ش .
٢٤- النص ومستويات التحليل الأسلوبي علي حسين يوسف موقع الحوار المتمدن .